

ما هي مسؤولية كل فرد في الوقوف ضد الظلم ولا سيما مظلمة العصر في فلسطين؟

عفيفة كركي

أستاذة في علوم الحياة وفي التدريب على كتابة
تقرير بحثي - فاعلة في مجال مقاطعة "إسرائيل".
بريد إلكتروني: afifakarake@gmail.com

يحصل في زمن آخر وليس في القرن الواحد والعشرين، لولا أننا نعرف بأن لهذه الممارسات القمعية سوابق كاضطهاد الأكاديميين المناصرين لفلسطين وصل على حد الطرد كما حصل مع الأكاديمي Steven Salaita.

هذا، في العالم، أما في «إسرائيل» فقد سمعنا مجددا أصواتا تذكرنا بأن الكيان الصهيوني يمتد من نهر النيل إلى نهر الفرات^١، وشاهدنا فنانيين يرفهون عن الجنود الذين يشاركون بجرائم الإبادة^٢، وأطباء يدعون إلى تدمير مستشفيات غزة^٣، ومدارس تربي تلامذتها بأن الفلسطيني لا يرقى ليكون إنسانا لتبرير ما يحصل^٤. نعم، شاهدنا مظاهرات منددة، لكن ليس بجرائم الإبادة والتجويج، بل بأسلوب الحكومة المتبع في حل مشكلة الأسرى لدى فصائل المقاومة في غزة.

قد يقول قائل، بأن حركة حماس جنت على الأهالي في قطاع غزة وأنها بفعاليتها في ٧ أكتوبر تركت وراءها ضحايا إسرائيليين، لكن، لا يمكن أن نلوم المقاومة على ممارسة حقها في تحرير أرضها المغتصبة منذ ٧٥ عاما ولا في الثورة على الممارسات القمعية للدولة الصهيونية؛ كما أنّ هناك تقارير عدّة نشرتها الصحف الغربية التي روجت للسردية الإسرائيلية في ٧ أكتوبر، تنفي تلك الادعاءات^٥.

وفي وسط كل هذا الظلام، رأينا بأن الفطرة الإنسانية حركت شعوب العالم للتضامن مع الضحية رغم هيمنة

كشف العدوان على غزة وجه العالم الحقيقي، حيث لا حرية تعبير ولا حقوق إنسان ولا احترام لأي قانون إلا إذا كان في إطار يخدم السياسة الاستعمارية لدول الغرب، بتواطؤ بعض الدول العربية.

فرغم البث المباشر لجرائم الإبادة والتجويج، ورعب الأطفال، وغيرها من الفظائع التي لم يكن ليتخيلها أي عقل، ورغم الإطاحة بكل شرائح حقوق الإنسان ولا سيما تلك المتعلقة بالمندنيين بشكل خاص، وتدمير كل مفاصل الحياة من معالم تراثية ودينية ومدارس وجامعات^٦، حتى وصل الأمر إلى تدمير المستشفيات^٧، ورغم القتل المتعمد والغير المتعمد للأطباء والعلماء والفنانين والشعراء والأدباء والصحافيين، ... رغم كل ذلك، وجدنا بأن العالم الرسمي لم يقف مكتوف اليدين فحسب بل عمل على تكميم الأفواه المتضامنة مع الضحية، وذلك من خلال إلغاء جوائز كانت مقررة وتبين بعدها بأن الحاصل/ة عليها تجرأ وأدان جرائم إسرائيل، أو من خلال إلغاء فعاليات التضامن مع فلسطين^٨، أو من خلال طرد من تجرأ وعبر عن تضامنه مع النساء والأطفال في غزة من أكاديميين وإعلاميين^٩، وغيرها من الممارسات القمعية التي وصلت إلى حد اعتقال وضرب الطلاب والأكاديميين الرابضين في جامعاتهم^(١) ومطلبهم الأساسي مقاطعة المؤسسات الضالعة في جرائم إسرائيل^{١٠}، بحيث يعتقد المرء بأن كل هذا يحصل في دول أخرى غير تلك التي تفاخرت طويلا باحترامها لإنسانية البشر، أو أنه

(١) حتى تاريخ كتابة هذا المقال

عقيفة كركي

الصحة ضد التعبئة الطلابية العالمية^{١٤} التي تطالب بسحب استثمارات من جامعاتهم التي تساهم في الإبادة الجماعية والفصل العنصري الإسرائيلي وتدعم جرائم إسرائيل ضد الفلسطينيين من خلال كليات تطوير التكنولوجيا العسكرية^{١٥}.

أما الشعوب فقد تخطت الأشكال التقليدية للمقاطعة، فقام عمال الموانئ في بعض الدول على رفض تحميل شحنات الأسلحة إلى إسرائيل^{١٦} وكثف مناضلو بريطانيا وغيرها من الدول اعتصاماتهم أمام مبان مصانع الأسلحة الإسرائيلية^{١٧}. ورُفِع علم فلسطين في الحفلات الموسيقية^{١٨} ودعا فنانون خلال تسلمهم لجوائز في مهرجانات عالمية لوقف الإبادة (Academy Awards, Goya Awards, César, Césaire Awards, Grammy Awards, Berlinale Awards)، وألغيت فعاليات ثقافية بسبب انسحاب أدباء اعترضوا على مواقف المنظمين الداعم لإسرائيل^{١٩}، وألغيت جناح إسرائيل في معرض مدينة فينيسا الفني بسبب اعتراض الفنانين المشاركين والاعتصامات الشعبية. واعتصم طلاب العالم داخل جامعتهم لتفعيل مقاطعة هذا الكيان، رغم تهديد اللوبيات الصهيونية في الولايات المتحدة الأميركية بحرمانهم من المنح الدراسية وحققهم بالتخرج^{٢٠}.

مقاطعة الظالم بالأساس هي فعل تضامني مع الضحية، مارسها الأميركيون لمحاربة العنصرية ضد ذوي البشرة السوداء في خمسينيات القرن الماضي، كما مارسها أكاديميي ومثقفو وفناني ورياضيي العالم رفضاً لشهادة الزور وذلك ضد نظام الفصل العنصري في جنوب أفريقيا في ثمانينات القرن الماضي، واليوم يلتزمون بها رفضاً للمشاركة في غسل جرائم إسرائيل^{٢١}.

كل فرد متساو أمام إنسانيته على التضامن الفعلي ضد الظلم الأكثر دموية في هذا العصر، ومقاطعة إسرائيل

سردية إعلام الاستعمار على الوعي العام. وبدأت الشعوب تدعو إلى تصعيد مقاطعة إسرائيل وداعميه، بوتيرة تخطت وتيرة حملات المقاطعة المعروفة. لكن، هذه الدعوات لم تأتي من العدم، فحركة مقاطعة إسرائيل وسحب الاستثمارات منها ومعاقبتها (BDS) كانت تعمل منذ ما يقارب ١٩ سنة على بث الوعي :

- في الجامعات من خلال دعوة الأكاديميين إلى مقاطعة المؤسسات العلمية والأكاديمية الإسرائيلية^{١١} الضالعة في دعم ممارسات إسرائيل وتبريرها بمشاركتها في تطوير الأسلحة والتبرير الحقوقي والعلمي لـ«حق» إسرائيل في فلسطين، أو بالمساهمة في تعذيب الأسرى وإخضاعهم لاختبارات طبية، أو غير ذلك.

- وفي الشارع الثقافي والفني من خلال دعوة الفنانين والمثقفين إلى مقاطعة الحفلات والفعاليات^{١٢} على الأرض الفلسطينية المطهرة من سكانها الأصليين، أو من خلال الدعوة إلى مقاطعة الفعاليات الإسرائيلية التي تعمل على تظهير صورة غير حقيقية عن إسرائيل في الدول التي تزورها. وبالفعل، استجاب كثيرون لهذه الدعوات مما خلق نواة للوعي الشعبي لقضية فلسطين وهذا ظهر بشكل واسع في الأشهر الأخيرة.

هذا فضلا عن الدعوة إلى المقاطعة الاقتصادية للشركات التي تنتهك القانون الدولي وتعمل في «المستوطنات اللاشعورية» أو التي تقدم خدماتها للمؤسسة العسكرية الإسرائيلية، فسحبت شركات عالمية استثماراتها من الكيان الصهيوني كشركة Veolia الفرنسية وشركة G4S البريطانية-الدماركية وذلك بسبب مقاطعتها من قبل الصناديق التقاعدية الأوروبية أو الكنائس الأميركية مثلا^{١٣}.

والجدير ذكره، أن رؤساء تسع جامعات إسرائيلية أصدروا مؤخرا بيانا يتضمن اتهامات لا أساس لها من

السامية، فأصبحوا ينادون في مظاهراتهم بتحرير فلسطين من البحر إلى النهر، رافضين الدعاية الصهيونية التي تُعادل بين إدانة إسرائيل وإدانة اليهود أو الديانة اليهودية وبالتالي تسميئة إدانة لكيان الاحتلال بتهمة معاداة للسامية. فبتنا اليوم نرى بأن معظم التحركات يشارك في قيادتها يهود من أوروبا وأميركا معبرين عن رفضهم لارتكاب الجرائم باسمهم^{٣٣}. فهل سنقف على الحياد، نحن المعنّين مباشرة بمشروع الصهيونية الاستيطاني؟

ربّ متسائل في الماضي إن كانت المقاطعة تؤثر على هذا الكيان الاستعماري الذي زرعه الغرب على أرض مطهرة عرقياً من سكانها بفعل الإبادة الجماعية والتهجير القسري المستمرين منذ نشوئه. لكن التجربة أثبتت بأن التراكم يؤدي ثماره، فمن مقاطعة الفنانين والموسيقين للكيان الصهيوني (Roger Waters, Massive Attack, Brian Enno,...)، إلى مقاطعة السينمائيين (Ken Loach, Emma Watson,...) والأدباء (Sally Rooney, Annie Ernaux) والأكاديميين (Angela Davis, Stephen Hawking, George Smith,...) وصولاً إلى بناء الوعي الشعبي.

لكنّ السؤال الأساس الذي ينبغي للإنسان أن يسأله لنفسه أولاً هو «هل المقاطعة تكفي لكي نحترم إنسانيتنا؟» وكما يقول جيمس بولدوان (James Baldwin) «قد لا نغيّر كل ما نتصدّى له، لكن بالتأكيد لن يتغيّر شيء إن لم نتصدّد له».

بيروت، ١٢ أيار ٢٠٢٤

وداعميها شكل من أشكال هذا التضامن، لا بل نحن مسؤولون أمام أولادنا لتربيتهم على ثقافة مقاومة واعية للخطر الصهيوني على بلادنا، وعلى مستقبلهم. إنّ المقاطعة، هي تذكير يوميّ بهذا الخطر الاستعماري الاستيطاني حتى بعد انتهاء المعركة الحالية*. وثقافة المقاطعة تبدأ بالمقاطعة الاقتصادية وتنسحب على المقاطعة الثقافية والأكاديمية والرياضية والفنية، فإسرائيل تدمر المسارح والبيئة وتعتقل المثقفين والأكاديميين وتقتل الرياضيين، وتنكل بالمصلّين... كما أنّ داعميها في كل الدول يقومون بقمع كل صوت مناوئ، حيث عملت اللوبيات الصهيونية على حثّ دول الغرب على إقرار قانون «International Holocaust Remembrance Alliance» (IHRA) - الذي يساوي بين اليهودية (الدين) والصهيونية (الحركة السياسية) مما يؤدي إلى تجريم كل انتقاد لسياسة «إسرائيل» بتهمة معاداة السامية وذلك لترهيب المؤسسات والمناضلين وإسقاط حقهم في المقاطعة^{٣٤}.

وقد يقول قائل، لم لا نقاطع دولاً أخرى تمارس الظلم في حقّ شعوبها؟ الجواب برأيي يكمن في أن مقاطعة تلك الدول هي معاقبة لشعوبها، أما في حالة إسرائيل فهي مقاطعة للمستعمر الإسرائيلي حتى يندحر مشروعه الاستعماريّ.

العالم اليوم منقسم إلى محور داعم لإسرائيل وجرائمها ومحور رافض لجرائم الإبادة، شعوب العالم تخطت القانون الدولي الذي لم يحم المدنيين والأطفال في غزة، وكسرت تابو نقد إسرائيل القائم على الخلط بين معاداة الصهيونية ومعاداة

Endnotes

- 1 <https://www.bbc.com/news/world-middle-east-67983018> ; <https://www.ohchr.org/en/press-releases/2024/04/un-experts-deeply-concerned-over-scholasticide-gaza>
- 2 <https://news.un.org/en/story/2024/01/1145317>
- 3 <https://www.artnews.com/art-news/news/artists-accuse-western-museums-censorship-palestine-open-letter-1234688256/> ; <https://www.leparisien.fr/culture-loisirs/forbes-la-ceremonie-des-40-femmes-de-lannee-annulee-a-cause-de-la-presence-de-la-militante-rima-hassan-03-02-2024-AGU5P77NYBFTLBFL2ZJEHSF5O4.php>
- 4 <https://jacobin.com/2024/04/nancy-fraser-germany-palestine-letter> https://www.democracynow.org/2024/4/15/headlines/mccarthyism_is_real_hobart_and_william_smith_colleges_suspend_prof_for_defending_palestinians ; <https://lithub.com/masha-gessens-hannah-arendt-prize-has-been-cancelled-because-of-their-essay-on-gaza/> ; <https://pen.org/press-release/pen-america-cancels-2024-world-voices-festival/>
- 5 <https://www.thenationalnews.com/news/us/2024/05/12/these-universities-negotiated-israel-divestment-with-student-protesters/>
- 6 https://www.youtube.com/watch?v=4mFIWS8_RC8
- 7 https://www.youtube.com/watch?v=4mFIWS8_RC8
- 8 <https://www.middleeastmonitor.com/20231106-100-israel-doctors-calls-for-bombing-al-shifa-hospital-in-gaza/>
- 9 https://english.palinfo.com/video_articles/how-israel-teaches-its-children-to-hate/
- 10 <https://nypost.com/2024/02/26/media/ny-times-reviewing-ties-with-israeli-reporter-over-gaza-slaughterhouse/>
- 11 <https://bdsmovement.net/academic-boycott> ; <https://www.middleeastmonitor.com/20140228-report-unveils-the-use-of-palestinian-detainees-for-israeli-medical-testing/> ; <https://jacobin.com/2024/02/israel-universities-palestine-apartheid-academia>
- 12 <https://bdsmovement.net/cultural-boycott#impact>
- 13 <https://bdsmovement.net/economic-boycott> ; <https://bdsmovement.net/impact/major-churches-divest>
- 14 <https://mondoweiss.net/2024/05/how-israeli-university-presidents-are-proving-the-case-for-boycott/>
- 15 <https://bdsmovement.net/news/israeli-universities-attacking-campus-uprising-uphold-israels-crimes-against-palestinians>
- 16 <https://www.youtube.com/watch?v=NQI9EYdYupo>
- 17 <https://www.palestineaction.org/>
- 18 <https://www.instagram.com/reel/C0PQADIPUnD/>
- 19 <https://pen.org/press-release/pen-america-cancels-2024-world-voices-festival/>
- 20 <https://www.thecrimson.com/article/2024/1/31/ken-griffin-pausing-harvard-donations/>
- 21 <https://www.history.com/topics/black-history/montgomery-bus-boycott> ; <https://www.theguardian.com/world/2021/may/23/israel-apartheid-boycotts-sanctions-south-africa>
- 22 <https://fmep.org/resource/how-ihra-antisemitism-definition-suppresses-palestinian-rights-advocacy-in-eu-uk-insight-from-elsc/>
- 23 <https://ujfp.org/intervention-de-simon-assoun-au-meeting-juif-international-du-30-mars-2024/> ; <https://ujfp.org/> ; <https://www.notonourdime.com/>